

أدب الخيال العلمي

إسماعيل بن مبارك بن سالم العجمي

أستاذ، سلطنة عمان

الفكر الانساني هو عالم رحب وخصب ومعقد، ومن المجالات التي ينصب فيها الفكر الانساني هو الأدب، سواء كان قصة أو شعراً أو رواية أو مسرحاً أو سينما، و للأدب مجالاته المتعددة التي تؤدي دورها المنوط بها ، وأحد هذه المجالات هو الخيال العلمي، الذي نشأ نتيجة التطورات العلمية وغالباً يأخذ الخيال العلمي الرواية و القصة سقاًء له، ويعرف أدب الخيال العلمي بأنه «الأدب الذي يتناول التقدم العلمي و منجزات التقنية و تطورها الصالح منها والضرار من خلال أحداث درامية» و في تعريف آخر «يقوم مفهوم أدب الخيال العلمي على المزج بين العلم والأدب في قصص تنبأً بمستقبل العلم وتطوره وتوظف مسائله في تكوين درامي.»، إذا أدب الخيال العلمي هو الأدب الذي يهتم بالحقائق العلمية وقوانين الطبيعة و يمزجها بالخيال الذي يصور لنا الحياة مستقبلاً، فهو يوظف علوم الفيزياء والفلك والكيمياء وغيرها في أحداث متخيلة و تصورات تحدث في المستقبل القريب أو البعيد.

نستشف من التعريف أن البعد الزمني هو المستقبل والبعد المكاني كوكب الأرض سواء في بحارها أو جوفها أو على سطحها أو قد يتعدى حدود كوكب الأرض ليشمل الكواكب الأخرى والأجرام السماوية في الفضاء الخارجي. أما الأحداث فهي تتناول الاختراعات والاكتشافات العلمية وآخر ما توصل إليه الإنسان في مجال تقنية المعلومات والتطورات التي ستحدث في مجال العلوم وكيف ستكون معيشة الإنسان عقب كل هذه التطورات والاختراعات.

يتفق الخيال العلمي مع الفانتازيا في كون كلاهما خيالاً، إلا أن الخيال العلمي

يختلف عن الفانتازيا في استناده على النظريات العلمية والقوانين الفيزيائية والبيولوجية والكيميائية، إذًا على الروائي أن يكون مطلعًا على آخر التطورات في مجال التقنية، فإذا أراد الروائي على سبيل المثال أن يكتب رواية بطلها بشري ومكانها في الفضاء أو أحد الكواكب فلا بد أن يوضح آليات معيشتها خارج كوكب الأرض كأن يستخدم آلة تنتج الأكسجين و ينتقل بوسيلة نقل تناسب مع قلة الجاذبية في الفضاء... الخ، في حين لا يتوجب ذلك في الفانتازيا، فكل شي ممكن ولا تتقيد روايات الفانتازيا بالقوانين الطبيعية بل تعتمد على القوى السحرية والشعوذة والخيال المطلق، فيمكن للإنسان التنقل من كوكب الأرض إلى الفضاء في لمحة بصر دون الاستعانة بالمكنوك الفضائي.

لنجاح الروائي في تأليف رواية أو قصة في مجال الخيال العلمي لا بد أن يكون لديه إلمام بالقوانين الطبيعية الأساسية بالإضافة إلى لمسته الأدبية ليمزج الخيال العلمي بالأدب فتكون النتيجة عملاً فنياً أدبياً رائعاً مشوقاً للقارئ ويأخذ به إلى عالم آخر وكأنه في رحلة استكشافية للمستقبل العلمي.

يعتبر الكاتب الفرنسي جول فيرن هو المؤسس الأول لأدب الخيال العلمي حيث ألف «خمسة أسابيع في منطاد» عام ١٨٦٣ م ثم ألف رواية «رحلة إلى جوف الأرض» عام ١٨٦٤، وبعد عام ألف «من الأرض إلى القمر» حيث تخيل رحلة الإنسان على القمر، كما ألف «عشرون ألف فرسخ تحت الماء» ١٨٧٠ والتي تتحدث عن غواصة تغوص إلى أعماق البحار.

أما في الأدب العربي بدأ الإنشاء في مجال الخيال العلمي منذ العصور التي ازدهر فيها العلم عند العرب، ففي القرن الثالث عشر ألف «الطبيب البغدادي» بعض الكتابات المتعلقة بالخيال العلمي والتي ألهمت الكاتب «جورج لوكاش»، و«فرانك هيربرت» كما ترك ابن النفيس أثراً في أدب الخيال العلمي بعنوان «الرسالة الكاملة» وتعرف أيضاً باسم «رسالة فاضل بن ناطق»، أما في الأدب العربي الحديث فبدأت بوادر الخيال العلمي في عام ١٩٥٨ م في مسرحية «رحلة إلى الغد» لتوفيق الحكيم والتي تتحدث عن رجلين هربا إلى الفضاء للفرار من تنفيذ حكم الإعدام ثم يعودان إلى الأرض فيكتشفان أنه قد مضت ٣٠٠ عام على كوكب الأرض، ويعتبر الدكتور المصري مصطفى محمود من أوائل الذين ألفوا في أدب الخيال العلمي، حيث ألف رواية «العنكبوت» ١٩٦٤ م التي وظفت الكثير من المصطلحات الطبية والعلمية وهي رواية تدور أحداثها مع الدكتور الذي يلتقي بالشاب راغب دميان المليء بالغموض والأسرار والخبيايا العلمية وقد تم إنتاجها

فيلمًا تم عرضه في دور السينما، وقد ألف الدكتور مصطفى أيضا رواية «رجل تحت الصفر» ١٩٦٧م ليكشف التطورات المستقبلية والأحداث العالمية والاختراعات العلمية في العام ٢٠٦٧م. كما يعتبر الروائي نهاد الشريف من رواد أدب الخيال العلمي عند العرب ، فألف روايته «قاهر الزمن» عام ١٩٧٢م و التي تتحدث عن تجارب وأبحاث الدكتور المدعو حليم صبرون في تجميد الإنسان الحي لوقت محدد، ويطبق أبحاثه على عدد من المرضى بمستشفاه، يحقق أحد الصحفيين في سر اختفاء المرضى من المستشفى إلى أن يكشف أبحاث الدكتور السرية في فلتته، وقد فازت هذه الرواية بالجائزة الأولى لنادي القصة كما تم تضمين بعض الأحداث وفكرة التجميد المذكورة في الرواية لإنتاج فيلم سينمائي رائع للمخرج كمال الشيخ عام ١٩٨٧ حيث يتحدث عن طبيب يقوم بتجميد زوجته الميتة بسبب أحد الأمراض، فيفكر الطبيب بتجميد خلاياها لحين إيجاد العلاج، ثم يقوم بسلسلة من الأبحاث و التجارب في مجال التجميد لا تخلو من المخاطرة والإثارة والتشويق لمعرفة النتائج، بالإضافة إلى رواية «قاهر الزمن» ألف الروائي نهاد الشريف رواية «سكان العالم الثاني» عام ١٩٧٧م ، والتي تدور أحداثها في البحار والمحيطات في عام ٢٠٩٩م حيث يسعى مجموعة من العلماء في بناء مدينة في قاع البحر والمحيط. كما ألف الروائي الدكتور السوري طالب عمران رواية «العابرون خلف الشمس» ١٩٧٩م والتي تتحدث عن رحلة فضائية إلى كوكب الزهرة ولكن المركبة تدخل في متاهة وتضيق لتصل إلى كوكب شبيه بكوكب الأرض، يعيش عليه سكان حياتهم شبيهة بحياة البشر، وله مؤلفات عدة في مجال الخيال العلمي منها: صوت من القاع ، شحنة الدماغ، رجل من القارة، ثقب في جدار الزمن و غيرها.

تعتمد بعض الثقافات إلى أدب الخيال العلمي لتربية النشء على العلم و البحث و الاختراعات و تنمي فيه حب التعلم والاكتشاف والتطوير، وقد لجأت بعض الدول إلى دمجها في بعض المناهج لتحفيز الأطفال بل وطلاب الجامعات إلى التعلم والاكتشاف، ولأدب الخيال العلمي أثره الواضح في حياة البشرية، فهو مصنع للأفكار العلمية الخصبة التي تكون ملهمة للعلماء، قد يلجأ الأديب للخيال العلمي لكون الفكرة صعبة التحقيق في الوقت الحالي ولكن بعد الدراسات والأبحاث على المدى الطويل يمكن أن تتحقق كما حدث بعد رواية «من الأرض إلى الفضاء» حيث خرج الإنسان من كوكب الأرض إلى الفضاء وهبط على سطح القمر وهذه كانت أحداثا متخيلة مدونة في الرواية قبل قرابة القرن ، وكذلك تم اختراع الغواصة بعد أربعين سنة تقريبا بعد رواية «عشرون ألف

فرسخ تحت سطح البحر»، فالفكرة قد تختفي وتكون هباءً منثوراً إذا ما تم تقييدها بالتدوين، وتدوين الخيال والأفكار المستقبلية في مجال العلم في قوالب الأدب من شأنه أن يحافظ على حيوية هذه الأفكار وترجمتها إلى الواقع، نلاحظ أن أدب الخيال العلمي مليء بالإثارة والتشويق وهو المحرك والموجه للعلماء، يقودهم إلى الاستكشاف وتحقيق الخيال العلمي وتحويله إلى واقع.

المراجع

١. نهاد شريف، أدب الخيال العلمي في ثقافتنا العلمية، المكتبة الأكاديمية، ٢٠١٨
٢. علاء رشدي، هل أنتجت الثقافة العربية أدباً من نوع الخيال العلمي، موقع اللغة والثقافة العربية، ٢٠٢٠
٣. د. سمر الديوب، مجاز العلم: دراسات في أدب الخيال العلمي، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٦
٤. سعاد عويرة، مكونات السرد وخصائصها في رواية الخيال العلمي العربي المعاصرة رواية أعشقتني لسناء الشقلان أنموذجاً، ٢٠١٨
5. Andrew Jones, From Time and Space: Science Fiction and Its Present Moment, Colorado State University, Fort Collins, Colorado, 2012
6. Dick, Barbara, Kathleen, Modern Arabic Science Fiction: Science, Society and Religion in Selected Texts, , Durham theses, Durham University, 2016
7. Next - A Dissertation-Novel: The Role of Science Fiction in Designing Futures, Barcia Junior, Jacques Waller, Federal University of Pernambuco, 2018
8. Patrick Holt, The Information Society in Science Fiction, Chapel Hill, North Carolina, 2009
9. Desirée Custers, Arabic Science Fiction as Vehicle for Criticism: The case of Ibrāhīm Naṣrāllāh's Harb al- Kalb al- Thāniyyah, 2019
10. Aysha, Emad El-Din, Science Fiction by, about, and for Arabs: Case Studies in De-Orientalizing the Western Imagination, Reorient, vol. 6, no. 1, Pluto Journals, 2020
11. Dr. Eisam Asaqli, Science Fiction in Arabic Literature: History, Growth, Development and Position, 2017